مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
SUJHUS 2024 (ايلول)، مجلد 2،عدد 3 ،الصفحات 113-126

التراتُبية الاجتماعية في الذهنية الملكية الساسانية

دراسة سوسيولوجية لنظام الطبقات في الامبراطورية الساسانية

(226 – 651م)

م.د. عادل عاجل روضان[1]*

[1]وزارة التربية، المديرية العامة لتربية القادسية، العراق

الملخص

عند الحديث عن الإمبراطورية الساسانية التي حكمت لمدة خمس قرون يمكن رصد كم من المعطيات الرئيسة التي ساهمت في تنظيم عملها وتدبير شؤونها وفق النظرية والممارسة التي وضعها الملوك الساسانيين، ولعل طبقات المجتمع وتنظيمها وفقا للرؤية الملكية الساسانية كان واحداً من اهم دعائم قوة الإمبراطورية وديمومة استمرارها، فالطبقات التي اوجدها الملوك الساسانيون مثلت مرتكزاً أساسياً وفق هرمية اجتماعية صارمة لتحديد وبيان وظيفة كل طبقة ودورها في البناء الامبراطوري، لذا كان الهدف من هذه الدراسة هو بيان ذلك التنظيم في ذهنية الملوك الساسانيون وكيف تعاطى هؤلاء الملوك مع المجتمع وفق رؤيتهم التي تحولت فيما بعد الى واقع ملموس مورست فيه الرقابة الشديدة على تلك الطبقات وعملها وواجباتها وحقوقها ودورها في حفظ هذا التنظيم الاجتماعي وتطبيقه على ارض الواقع، فحديث الملوك الساسانيون حول هذا الطبقات يشير بشكل واضح على قيمتها الكبيرة واهميتها في حفظ المملكة وتنظيم شؤون المجتمع والحفاظ عليه، وان أي خلل او تلكؤ في عمل هذه الطبقات يهدد مصير الإمبراطورية واستقرارها وامنها، وعلى ضوء ذلك قُسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث محاور تناول الاول التراتبية الاجتماعية في المنظور الملكي الساساني وأهمية الطبقات الاجتماعية في ديمومة عمل الامبراطورية، وعالج الثاني الهرمية السيواجتماعية والكيفية التي قسم بها الملوك الساسانيون تلك الطبقات وفق محددات معينة، علاوة على الضوابط التي نظمت عمل تلك الطبقات، فيما حوى الثالث على بيان وتفصيل تلك الطبقات من الاعلى الى الأدنى مع تحليل عمل كل طبقة ودورها في المنظومة الاجتماعية الساسانية، ثم اردفت تلك المحاور بخاتمة ثبتت اهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية: اردشير ، الطبقات ، الساسانيون ، الاساورة ، الزرادشتية .

Social Hierarchy in the Sassanian Royal Mentality: A Sociological Study of the Class System in the Sassanian Empire

Lecturer Dr. Adel Ajil Rawdan[1]*

[1]Ministry of Education, General Directorate of Education Qadisiyah, Iraq

Abstract:

When talking about the Sassanian Empire that ruled for five centuries, we can monitor the number of main data that contributed to organizing its work and managing its affairs according to the theory and practice established by the Sassanian kings. Perhaps the classes of society and their organization according to the Sassanian royal vision was one of the most important pillars of the empire's strength and the continuity of its continuity. The classes created by the Sassanian kings represented a basic foundation according to a strict social hierarchy to determine and clarify the function of each class and its role in the imperial structure.

* **Email address: adelagelf62@gmail.com**

Therefore, the aim of this study was to clarify that organization in the mindset of the Sassanian kings and how these kings dealt with society according to their vision, which later turned into a tangible reality in which strict control was exercised over those classes, their work, duties, rights, and their role in preserving this social organization and applying it on the ground. The Sassanian kings' talk about these classes clearly indicates their great value and importance in preserving the kingdom, organizing the affairs of society, and preserving it, and that any defect or delay in the work of these classes threatens the fate, stability, and security of the empire. In light of this, the study was divided into an introduction and three axes. The first dealt with the social hierarchy in the Sassanian royal perspective and the importance of social classes in the continuity of the empire's work. The second dealt with the socio-social hierarchy and the manner in which the Sassanian kings divided those classes according to certain determinants, in addition to the controls that regulated the work of those classes. The third included a statement and detailing of those classes from the highest to the lowest, with an analysis of the work of each class and its role in the Sassanian social system. Then, these axes were followed by a conclusion that established the most important results reached by this study

Keywords: Ardashir, classes, Sassanids, bracelets, Zoroastrianism.

المقدمة:

اتخذ التاريخ الاجتماعي للساسانيين مسارات متعددة وكان واحداً من الموضوعات الذي عني الباحثين بدراسته على مدى سنوات طويلة كونه مثل المرتكز الاساسي الذي قامت عليه امبراطورية عريقة وموغلة بالقدم مثل الامبراطورية الساسانية، لذا تبلورت فكرة اختيار موضوع يكشف عن قيمة وأهمية تلك الطبقات من وجهة النظر الملكية الساسانية فقد وقع الاختيار على موضوع (التراتبية الاجتماعية في الذهنية الملكية الساسانية دراسة سوسيولوجية لنظام الطبقات الساساني) .

ولعل الاسباب الكامنة لاختيار هذا الموضوع تكمن في بيان قيمة واهمية هذه الطبقات الاجتماعية في المنظور الملكي الساساني، والافصاح عن مدى تأثيرها في الواقع السياسي والاجتماعي للدولة .

وتثير الدراسة اسئلة جوهرية تتعلق بحل اشكاليات متعددة تتعلق بتلك الطبقات والعناصر المنشطة والمحركة لها، ولعل اهم الاسئلة التي تثيرها هذه الدراسة لماذا قسم الملوك الساسانيون المجتمع الى طبقات؟ ولماذا كان لها اهمية واولوية في المنظور الملكي الساساني؟ والى اي مدى ترتبط تلك الطبقات بقوة الدولة او ضعفها ؟

للإجابة على تلك التساؤلات حتم علينا هذا المسار البحث في المصادر التاريخية والادبية العربية والفارسية لرصد ديناميكية تلك الطبقات وتحليل مكوناتها ومن ثم البحث عن اداءها ودورها في تنظيم عمل الدولة واسهامها في تسيير الشؤون العامة للإمبراطورية الساسانية، وعلى ضوء ذلك قُسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث محاور تناول الاول التراتبية الاجتماعية في المنظور الملكي الساساني وأهمية الطبقات الاجتماعية في ديمومة عمل الامبراطورية، وعالج الثاني الهرمية السيواجتماعية والكيفية التي قسم بها الملوك الساسانيون تلك الطبقات وفق محددات معينة، علاوة على الضوابط التي نظمت عمل تلك الطبقات، فيما حوى الثالث على بيان وتفصيل تلك الطبقات من الاعلى الى الأدنى مع تحليل عمل كل طبقة ودورها في المنظومة الاجتماعية الساسانية، ثم اردفت تلك المحاور بخاتمة ثبتت اهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة .

حاولنا في نهاية كل مبحث او محور تسجيل بعض النتائج الجزئية التي توصلنا اليها، ومثل اي بحث اكاديمي اعترض هذا العمل مجموعة من العوائق منها صعوبة الوصول الى المصادر والمراجع الفارسية القديمة، وختاما نتمنى ان تكون هذه الدراسة ذات فائدة علمية رصينة .

أولاً: التراتبية الاجتماعية في المنظور الملكي الساساني

لقت احوال الحياة العامة والتنظيم الاداري والاجتماعي والسياسي للدولة الساسانية تعبيراً مختلفاً في القرون الاربعة التي دامت فيها الامبراطورية الساسانية التي اسسها الملك اردشير الاول، ولكن الهيكل الاجتماعي الذي انشأه او اكمله مؤسس الدولة الساسانية قد بقي حتى نهايتها مع بعض التغييرات الطفيفة التي فرضتها طبيعة المتغيرات السياسية والدينية طوال فترة وجودها واستمرارها .

ولعل الدولة الساسانية التي اتجهت الى المركزية في اطارها العام وتفاصيلها الدقيقة كانت سعت الى وضع تراتبية اجتماعية تكون ملازمة للمُلك، وتمارس كل واحدة منها دوراً محدداً، ولعل نصوص الآداب السلطانية الفارسية المتداولة في الثقافة الاسلامية أشارت الى تنظيم اجتماعي ساساني طبقي، حيث نجد ان الجاحظ المعتمد على كتاب (تاج نامة)[1] الساساني يشير بشكل دقيق الى نظام الطبقات في عهد اردشير الاول، وقد جعل الجاحظ هذه الطبقات على النحو الاتي :

1 – الاساورة من ابناء الملوك

2 – النُساك وسدنة بيوت النار

3 – الاطباء والكُتّاب والمنجمون

4 – الزُراع والمهان واضرابهم[2]

وتحتل هذه التراتبية في الذهنية الملكية الساسانية عنصراً اساسياً من عناصر قوتها وتماسكها لأنه بحسب منطقها " ما شيء اسرع في انتقال الدول وخراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها، حتى يرفع الوضيع الى مرتبة الشرف، ويحط الشريف الى مرتبة الوضيع "[3]، وهذا يفضي الى ان بُنية المجتمع وتركيبه في الدولة الساسانية هرمية يقع الملك في قمتها، ثم تتسع هذه القاعدة لتستوعب الخاصة (الاقارب والاشراف) ثم العامة وهم قاعدة المجتمع العريضة واداة انتاجه المادي والفعلي وموقعهم اسفل الهرم[4] .

لقد حددت لهذه الطبقات علاقتها بالمُلك والبلاط، وهو ما اشار اليه الجاحظ بـ (القانون من القول)[5] معتبرة الدين والحرب والتدبير المالي والخدمة على انه الاساس للتمايز الطبقي، ومُشيرة في الوقت ذاته الى ان نظام الملك مرهون بأن تحتل كل طبقة من هذه الطبقات مكانها وتمارس ادوارها الطبيعية ولا تتعداها[6] .

يمكن القول ان التشخيص الفارسي للمراتب والطبقات كما حدده عهد اردشير يمثل قاعدة من قواعد الحكم في مجال الدفاع عن السلطة ولزومها ومن ثم استمرارها، اذ يرى اردشير انها من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة[7]، كما ان شروح الجاحظ لعهد اردشير في كتاب التاج وفق مبدأ المراتب الملازمة للملك يبين معنى المراتب ولزومها للسلطة، فقد اوضح في هذا الكتاب ان الملك هو من يتربع فوق تلك الطبقات الملازمة له، فالدخول على الملك يتم غالباً في اطار المراتب، حيث الاشراف اولاً، ثم الاوساط ثم المساوون له[8] .

قبل الخوض في تفصيلات التراتبية الاجتماعية للإمبراطورية الساسانية لا بد من الاشارة الى تقسيم آخر ظهر في الايام الاولى للساسانيين، حيث نجد ان هذا التقسيم في النقش الذي سطر بلغتين في حاجي اباد، حيث يذكر الملك شابور الاول رمية سهمه المشهورة التي رماها في حضور اغلب امراء الدولة ورؤساء وافراد العائلات (واسبوران) والعظماء (بزركان) والنبلاء (ازادان)، وليس من السهل تحديد ما هي الصلة بين هذا التقسيم الذي لا يشمل غير الطبقات الممتازة والتقسيم الآخر الذي بينه الجاحظ والذي يتعلق بالشعب عامة، وهذا الاختلاف الذي كان بين نظامي الاقطاع والسيادة المركزية هو المميز للتطور الاجتماعي والسياسي منذ ايام اردشير الاول[9] .

يلحظ ان وظيفة الملك وفق هذه التراتبية هو القيام بترتيب النسيج الاجتماعي فهو يقوم بتصنيف البشر على مراتب وطبقات، لأن التوازي يقلل من من شأن الملكية ومكانتها، وكأنه بذلك يعاكس كثيراً الرغبات الطامحة في التساوي، ولكن لا بد من القول ان نظام المراتب يمنح الملكية تماسكاً ويضعها بمأمن عن كل الطبقات ويغدو هو المتحكم بها[10]، فيصنف الناس " طبقات ومراتب، يخص ويعمم، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع "[11] .

لا بد من الاشارة ايضاً الى القيم الطبقية التي حكمت العلاقة ما بين الرعية بعضها مع بعض، والحرص على عدم اختلافها، فالنظام الطبقي يمثل قيمة كبيرة بالنسبة للملك في مجال العلاقات الاجتماعية أذ به يتم ضمان الاستقرار والاستمرار، يقول اردشير في ذلك " فإذا فشا الفراغ بين الناس تولد منه النظر في الامور، والفكر في الاصول، فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبائع مختلفة، فتختلف بهم المذاهب، ثم يتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم "[12]، أذ تندرج فحوى هذا النص حول كيفية اشغال الرعية وضمان سيرها باتجاه يخدم المنظومة الملكية الساسانية فهو بحسب منطقها " ان ذهاب الدول يبدأ بأشغال الرعية بغير اشغال معروفة، ولا اعمال معلومة "[13]، فالتصور الملكي الساساني هنا يدعم التراتبية الاجتماعية التي تضع الملوك في اعلى المراتب مع مراعاة الكيفية التي تدير بها الرعية لضمان السيطرة عليها بما ينسجم مع توجهاتها العامة .

أن اولوية التراتبية في المجتمع الساساني عند الملوك جعلتها ركيزة اساسية من ركائز الدولة، فنظام المراتب مُلازم للملك، والملك وحده فقط من يستطيع ان يتربع على تلك المراتب وتنظيمها ايضاً، اذا يعطينا نص (تنسر) الكيفيات التي يحددها الملك لكل طبقة، والدور الذي تقوم به المؤسسة الملكية لتنظيم تلك الطبقات، اذ يبين ان الملك يقوم بتنصيب (رئيس) على كل طبقة، ويلي الرئيس (عارض) يعد اهل طبقته، ومن بعده (معلم) يلقن كل فرد حرفة او عملاً او علماً منذ الطفولة، وجعل للمعلمين والقضاة والسدنة والقائمين مرتبات، وأمر مؤدب للأساورة، وتعليم ابناء المحاربين في المدن والرساتيق حمل السلاح وآدابه[14]، أذ يتبين من ذلك ان الملك هو الناظم الرئيسي لكل تلك المراتب، بصفته رتبه صانعة لكل الرتب الاجتماعية الموظفة لخدمته وخدمة المؤسسة الملكية، فهي تستجيب لنظام التصنيف الخاضع على اراداته واوامره[15] .

يلحظ ان استمرار الملك مرهون بأن تحتل كل فئة او طبقة من هذه الفئات مكانها وتمارس ادوارها الطبيعية ولا تتعداها اطلاقاً، اذ ان المعلومات الواردة في كتاب (تنسر) تعطي تفصيلاً دقيقاً لذلك " ولا يجوز مطلقاً ان ينتقل احد من طبقة الى اخرى الا ان يلاحظ في امرئ اهلية شائعة فأن امره يعرض على الملك، بعد اختبار الموابذة والهرابذة اياه وطول مشاهدتهم له، فاذا رأوه مستحقاً امر الملك بألحاقه بغير طبقة "[16]، فالانتقال من طبقة الى اخرى يتم وفق ضوابط صارمة ودقيقة، اذ تمر بمرحلة اختبار لدى الموابذة والهرابذة وهم الشخصيات الدينية الاكثر حضوراً لدى البلاط الساساني ومن ثم

يعرض على الملك، أذ يستشف من ذلك مدى صعوبة الانتقال من طبقة الى اخرى ومدى اهمية الحفاظ على نظام الطبقات وفق المنظور الملكي الساساني .

يمكن ملاحظة القيمة الكبيرة لهذه التراتبية الطبقية التي اوجدها الملوك الساسانيون، فهي لا تخرج من كونها الاساس المتين الذي بنيت عليه الامبراطورية اركان قوتها واستمراريتها، فهي بحسب ما يذكره كتاب (تنسر) " واما المراتب والدرجات والطبقات فهي مثل الاركان والاوتاد والقواعد والاسطوانات، واذا انهار الاساس تداعى المنزل وخرب وانقض "[17]، ويشير في موقع آخر على لسان اردشير (224-241م) " وقد احتاط الملك للمحافظة على هذه المراتب، بحيث لم يبق بعد هذا تصور لمزيد، ثم أمر بأن كل من يخالف هذه السنة من بعده يستحق ان توضع درجته، وان يهدر دمه وينفى "[18]، ومن هنا تأتي اهمية هذه التراتبية الاجتماعية المبنية على نظام الطبقات التي تقوم على اساس تناغم تلك الطبقات مع بعضها وفيما بينها، اي لأداء ادوارها الطبيعية من دون زيادة ولا نقصان، فهي تمثل قاعدة من اهم القواعد للدفاع عن لزومية السلطة واستمرارها دون اختلال او فساد او خراب .

ان الفكرة السياسية لبناء الدولة الساسانية مبنية في واحد من اهم اركانها على عنصر التراتب، فالملك المعادل للمملكة يمثل نتاج لتلك الهرمية الاجتماعية المنتظمة في التدرج من اسفل القاعدة حتى اعلى رأس الهرم، بمعنى أن نضج النظام السياسي على هيأته الملكية هو وليد لتلك التوافقات والقناعات الاجتماعية بين اطرافه كافة[19] .

ثانياً: الهرمية السيوجتماعية (نظام الطبقات)

لعل التصور الفارسي - الساساني للتراتبية الاجتماعية وضع الملوك في اعلى تلك المراتب وفوقها، ومن ثم تتعدد الرعية الى عدة طبقات الطبقة العليا والطبقة الوسطى ومن ثم الطبقة السفلى، ويحدد للملك كيفيات تدبير كل طبقة بما يناسب مكانتها، اذ تحرص بعض النصوص الملكية الساسانية على اظهار تلك التلازمية بين تحقيق الملك وبين تواجد المراتب المنضبط في كل هذه الاوضاع، فلا يدخل الملك على امر الا واحاله على تلك المراتب، فالمنادمة الملكية لا يمكن ان تستقيم ان لم يترتب الندماء طبقة اولى من الاساورة وابناء الملوك، ومن ثم طبقة ثانية من المحدثين من اهل الشرف والعلم، وطبقة ثالثة من المضحكين واهل الهزل والبطالة[20]، فالهرمية السيواجتماعية تتمثل بتركيبة اجتماعية لها تأثيرا كبيرا في صياغة نمط الدولة وتشكيلتها ونظمها .

يتم اختزال هذه التراتبية السيواجتماعية في ثنائية حادة جدا (السلطان والرعية)، الخاصة والعامة، الراعي والرعية، الملك والجمهور، الملك والجماعة، وهذه التراتبية لا تخرج عن كونها المنطق الذي تحكم في مبدأ التراتب، وذلك لأن الحد الثاني في هذه الثنائية يتضمن بالضرورة مراتب، ما دام الملك في الاساس تفرد وانفراد، فالملك يحتل موقع الوسط من كل تلك المراتب بوصفه البؤرة الناظمة والمؤثرة فيها، وهذا ما يمنحه امتياز التمركز فوق تلك المراتب مع استمراريته في طريقة التلاعب فيها او جذبها لصالحه " فكل طبقة من الطبقات تُرفع مرة وتُحط اخرى وتُعطى مرة وتُحرم اخرى "[21] .

ان الهرمية السيوجتماعية ليست مجرد شكل هندسي بل انها تصور محدد للتوازن الاجتماعي، فهي تقوم بتصوير الملك في مقابل المجتمع، وتتوخى في العمق حل اشكالية استمرارية ضمان الاستقرار السياسي والتوازن الاجتماعي الذي يقوم على مبدأ التراتب، فالبشر يصنف درجات والسلطة فعل ضبط عمارة الامصار وتنظيمها وكل هذه الامور تتعلق بأصل السلطة وشرعيتها[22] .

يلحظ ان ثنايا الادب الساساني المنتمي لمجاميع (تاج نامه) يعطي وسائل عديدة لبيان وتبيين وتوضيح الحضور الملكي على الطبقات الاجتماعية الاخرى، اذ يلحظ على هذا النوع من الادب هو استهلال اغلب فقراته بعبارة " من حق الملك "[23]، وهي عبارة تحمل كثيرا من معاني الاختصاص والتركيز في معالجة الشأن الملكي بالمراتب والطبقات، فهي توحي الى وجود مدونة معتمدة لحفظ هذا الامر وترعى تنظيمه واشاعة مبادئه وافكاره المقترنة بمبدأ حفظ التوازن في بنية الفكر السياسي الساساني[24] .

يقوم المبدأ الآنف الذكر على مصادرة المراتب فيكون الملك ملكاً وتظل العامة في مواقعها وفق مبدأ " والملوك على طبقات البشر، فليس احد اولى بالفضل ولا اجزل قسما ولا ارفع درجة من الملوك "[25]، ونعتقد ان هذا النص للماوردي يدعم التصور الفارسي للمراتبية او المراتب الاجتماعية التي تضع هؤلاء الملوك في اعلى المراتب وفوقها، لضمان عدم اختلال ميزان الملك وطبيعة علاقته بالرعية، ولعل الهدف الاساس الذي تسعى له هذه الهرمية الاجتماعية هو حماية منصب الملكية من كل التقلبات السياسية التي قد تعصف به، ومن ثم تؤثر على البناء الاجتماعي المستقر فيه .

من الواضح اذا ان التراتبية عند الملوك الساسانيين تجعل منها ركيزة اساسية ومهمة من ركائز الدولة وعنصراً مهماً وحيوياً من عناصر قوتها وديمومتها، وهو ما يتجلى بشكل واضح في هيكلية الدولة ونظامها ويمكن القول وفق ذلك (ان الملك نظام المراتب) بمعنى ان (الملك = الدولة)[26]، تشكل في جذره تلك المراتب ثم اصبح بعدئذ واهباً لها ومدافعا عنها بالصورة التي اخذ موقعها فصار " الملوك هم الاساس والرعية هم البناء، ومن لا أس له مهدوم "[27]، اذ ان تواجد المراتب المنضبط والمبني على نظام واساس مجموعة من الطبقات تمثل عنصراً رئيسياً في الذهنية الملكية الساسانية، فهو من اساسيات تماسكها واستمرارية بقاؤها، وتنسب هذه الهرمية الاجتماعية (نظام الطبقات) الى الملك المؤسس (اردشير الاول) الذي قسم تلك الطبقات الى اربع وجعلها على النحو الاتي :

اولاً: الاساورة من ابناء الملوك

تعد طبقة الاساورة من اهم الدعائم والمقومات الرئيسة للنظام الملكي الساساني، فهي من عناصر القوة والسيطرة للمؤسسة العسكرية الساسانية، كما انها تعد من اهم المناصب الرفيعة في الجيش الساساني، وعند تفحص الاصل اللغوي لمصطلح الاساورة بحسب ما تبينه المتون الفارسية القديمة وبحسب كتاب تنسر وهو اقدم نص عن النظم الفارسية قبل الاسلام بأن الاساورة هم الفرسان[28]، اما المعاجم اللغوية الفارسية فقد تعاطت مع لفظة الاساورة بصورة متقاربة جدا، فالأساورة هم القواد النجباء[29]، كما يشير صاحب معجم عميد الى ان الاساورة هم الفرسان[30] .

يمكن معاينة هذا المصطلح ومدلولاته في الصورة المقدمة عنه في بعض المعاجم العربية، أذ ان الاسوار من اساورة كسرى اي قواده[31]، والاسوار بالضم والكسر قائد الفرس وهو بمنزلة الامير من العرب[32]، أذ يلحظ بشكل جلي ان المعاجم اللغوية العربية والفارسية بينت ان لفظة الاساورة هي اشارة الى القادة من الفرس .

يبدو ان طبقة الاساورة مثلت مرتكزاً مهماً واساسياً لإمبراطورية كبيرة قامت منذ بداياتها على اسس التحالف العميق مع الكثير من رجال الحرب، واعتمدت عليهم بوصفهم جزءاً رئيساً من ادواتها في تنفيذ مشروعها الامبراطوري الكبير[33]، وكذلك مشاغلة بيزنطة عند الالتحام العسكري معها لما يمتاز به الاساورة من قوة وحنكة عسكرية هائلة .

اما بالحديث عن المرتبة الاجتماعية لهؤلاء الاساورة فهم من اهل البيوتات السبعة الرئيسة في الدولة الساسانية[34]، وكانت لهم قيادة الجيش الساساني ويعتمد عليهم كثيراً في قيادة الحروب، وبحسب المعاينة الدقيقة لخطاب اردشير الى كبار

دولته يلحظ القيمة الكبيرة لهؤلاء الاساورة يقول اردشير " من اردشير المؤيد ملك الملوك، ووارث العظماء، الى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والاساورة الذين هم حفظة البيضه "[35]، كما يؤكد الجاحظ ايضا قيمة الاساورة في حديثه عن نظام الطبقات في الدولة الساسانية اذ يقول " كانت الاساورة وابناء الملوك في الطبقة الاولى، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة اذرع من الستارة "[36]، كما يمكن استيعاب قيمتهم الكبيرة واهميتهم ان كسرى اسقط عنهم الجزية، أذ اسقطها كسرى عن اهل البيوتات والمرازبة والاساورة[37]، مما يدل على ان هؤلاء الاساورة كانوا احد اهم الدعامات القوية للنظام الملكي الساساني كونهم يمثلون قيادة قوات النخبة في المنظومة الساسانية العسكرية .

تعطي رواية اليعقوبي تفصيلاً هاماً عن نظام الطبقات في الدولة الساسانية ومما ذكره اليعقوبي انه اشار بشكل دقيق الى طبقة الاساورة " وقادة الجيش من الاساورة "[38]، ومن الواضح ان هذه الطبقة لها صلة مباشرة وتماس بالبلاط الساساني وكل من فيها من الطبقات الرفيعة المختلفة في المجتمع الساساني، والمفروض ان معظم الاساورة كانوا يعيشون أيام السلم من ريع اراضيهم الزراعية فكانوا يزرعونها ويباشرون عملهم فيها او من ينوب عنهم .

كان من الطبيعي لشعب قد تذوق الفروسية منذ الازمنة القديمة الموغلة في القدم وآثاره يغمرها الميل الى البطولة والفروسية أن يكون لطبقة الفرسان المكانة الاولى وأن تلي في الرتبة الارستقراطية العالية التي كانت اقل عدداً منها، اذ يلحظ ان الفترات اللاحقة من عمر الامبراطورية الساسانية صار لقب فارس (اسوار) ذات قيمة اجتماعية اعلى شأنا[39] .

يمكن تحسس قيمة الاساورة على انهم طبقة مهمة من خلال اهتمام الملوك الساسانيين بها طوال فترة حكمهم، ففي عهد الملك الساساني الاكثر شهرة كسرى انو شروان يلحظ انه ابدى اهتماماً واضحاً بالأساورة " فمن لم يكن له منهم يساراً قواه بالدواب والعدة، واجرى لهم ما يقويهم "[40]، أذ تأتّى ذلك من ضمن اصلاحات انو شروان على المستوى الاداري والاجتماعي، ولعل طبقة الاساورة كانت لها اولوية قصوى كونها من الطبقات المرتبطة بقوة الدولة وهيبتها، أذ ان الاساورة تمثل قوات النخبة في الجيش الساساني، فالاهتمام بها ضرورة قصوى لإمبراطورية حربية لها تماس مباشر مع الامبراطورية البيزنطية فضلا عن الاخطار الخارجية التي تشكل تهديداً على الامبراطورية .

يتبين اذا ان طبقة الاساورة كان لها حضور وتفاعل مؤثرين في النسيج الاجتماعي والاداري الساساني، فعليهم كان يتوقف انتصار الجيوش في المعارك، ونتيجة للمعطيات السياسية التي رافقت قيام الامبراطورية الساسانية كان لا بد من انشاء جيش قوي نظراً للتحديات التي تواجهها الامبراطورية الساسانية فضلاً عن انها امبراطورية ذات نزعة توسعية فضلاً عن حماية حدود الدولة وتأكيد سلطاتها من جهة اخرى .

يمكن القول ان طبقة الاساورة ساهمت بشكل كبير في اضفاء نوع من الثقة لدى البلاط الساساني بقدرتها على القيادة والسيطرة والحماية، لذا حققت هذه الطبقة طموحات النظام الساساني كونها على معرفة تامة بنظم القتال ومبادئ الحرب، أذ يظهر هذا مدى العقلية العسكرية التي ساهمت في الحفاظ على قوة الدولة .

ولعل رغبة الدولة الساسانية في التوسع والاستحواذ على عديد مناطق الشرق الادنى فرض عليها اعداد نخبة خاصة من القادة تتولى القيام بذلك وهو ما تمثل بطبقة الاساورة خصوصا مع الصراع العسكري الطويل مع الند المباشر لها الامبراطورية البيزنطية التي سخرت كل امكانياتها المادية والحربية وخزائنها للإنفاق على تسيير عدد من الحملات العسكرية واقامة التحصينات الدفاعية، اذ تمكن الاساورة من اثبات حضورهم المهم والاساسي في العقلية العسكرية الساسانية لذا عدت هذه الطبقة من الطبقات الاولى في التراتبية الاجتماعية الساسانية كما اوردها الجاحظ .

ثانياً: النُساك وسدنة بيوت النار

قبل الخوض في تفصيلات هذه الطبقة لا بد من الاشارة الى الملك المؤسس اردشير وبعد شروعه في تأسيس هيكل الدولة الناشئة اخذ يستحضر عناصر دينية مقدسة ويوظفها في بناء شخصية الشاهنشاه الامبراطورية الساسانية، أذ ادرك اردشير ان عدم اقامة دين رسمي يرتبط بالإمبراطورية يمكن ان يضعف تدريجياً القوة المادية والروحية والقوة للحكومة المركزية، كما قد يمثل تهديداً خطيراً على بقائها على المدى الطويل[41]، وعلى وفق ذلك اعلن الملك اردشير (الزرادشتية) الديانة الرسمية للإمبراطورية الساسانية[42] .

سعى اردشير الى مرادفة الدين بالمُلك، أذ تضمن (عهد اردشير فقرتين مهمتين جداً في تقرير نمط معين للعلاقة ما بين الدين والمُلك، أذ يظهر من خلال تفحص بعض فقرات العهد حرص الملك المؤسس (اردشير الأول) في توظيف الدين في ايديولوجيا التدبير الامبراطوري، أذ سعت عددا من فقراته الى بيان العلاقة والكيفية بين الدين والملك فقد ورد في الفقرة الرابعة من العهد " واعلموا ان الملك والدين اخوان توأمان، لا قوام لاحدهما الا بصاحبه، لان الدين أُس الملك وعماده، ثم صار الملك بعد حارساً للدين، فلا بد للملك من أُس، ولا بد للدين من حارسه "[43]، ولعل ما تفضي اليه هذه الفقرة هي صيرورة العلاقة وتبادل المواقع المختلفة بين الدين والملك، ويبدو ان الغاية الفعلية لتلك الفقرة من هذا العهد موجهه تحديداً للمؤسسة الملكية، كما انها لا تخرج عن كونها نصائح سياسية عديدة لملوك المستقبل لغرض الربط البيولوجي بين الاثنين معا (الدين والدولة)[44] .

من جانب آخر يلحظ ان الاسرة الساسانية كانت على ارتباط وثيق ببيوت النار، فقد كان جد اردشير الملك قيما على بيت نار (اناهيتا) في مدينة اصطخر، وكان هذا المعبد من جملة المعابد الرئيسة المخصصة لعبادة الهة الزردشتية جميعها فكان بمثابة مركز الخدمة والهيكل الذي فيه النار المقدسة، ويصف المسعودي ذلك فيقول " وللفرس بيت نار باصطخر تعظمه المجوس "[45]، وهذا يبين مدى ارتباط الملكية الساسانية بالزرادشتية وبيوت النار بالنظام العام للدولة، كونها المرتكز الذي بنيت عليه قوة الدولة وعظمتها .

تنص تعاليم زرداشت على ان الاله (اهورامزدا) بمثابة قوة روحانية عليا خالقة ومبدعة ومتفردة على من سواها من قوى الشر المختلفة، وهو قوة ازلية عاملة خالقة كبيرة وان على الانسان اما ان يختار طريق اهورامزدا او طريق الشر[46]، ومن هنا يتضح ان اي طريق اخر غير طريق اهورامزدا يمثل طريق غير صحيح وهو طريق الشر او المؤدي الى الشر قطعا .

وهناك مكانة خاصة ومهمة للنار في الديانة الزرادشتية، أذ انها قدست بوصفها رمزاً اصيلاً للإله اهورامزدا، واحد العناصر الاكثر قدسية (النار، الماء، التراب، الهواء)، وقد اصبحت مرادفة او تمثل جزء من العقيدة الزردشتية، حتى اطلق خصومها او الذين لم يفهموا طقوسها اسم (عبدة النار)، لكن الزرادشتيون في الواقع لم يعبدوا النار وانما اتخذت رمزاً ملموساً مادياً للإله اهورامزدا، ولإضفاء نوع من القدسية الخاصة على هذه الطقوس اقام رجال الدين الزرادشتيين عدداً من بيوت النار في كافة ارجاء الامبراطورية ليقصدها الناس للحصول على بركة رجال الدين ورضاهم، وتفرغ عددا ضخماً من رجال الدين للسهر دوما على ابقاء نيران هذه البيوت مشتعلة متأججة، ومن هنا توجه الملوك والحكام وعامة الناس جميعا الى العناية بالنيران سواء كانت نيران المعابد ام المنازل ام الحروب[47]

على وفق المعطيات الآنفة الذكر احتلت طبقة النساك وسدنة بيوت النار موقعاً مهماً في الذهنية الملكية الساسانية، كونها تمثل مرتكزاً مهماً لإدامة الطقوس الدينية المرتبطة بالزرادشتية، أذ كان النساك وسدنة بيوت النار من هذه الطبقة يعملون

في بيوت النار تحت امرة الموابذة والهرابذة، فمن مهامهم الرئيسة هو تغذية النار في طقوس خاصة لغرض ابقائها مشتعلة متأججة، فضلا عن تلاوة نصوص عديدة من (الافستا) وهو الكتاب المقدس لدى الزردشتية او ترتيل عدداً من الادعية والصلوات الخاصة بهم، وبعملهم هذا كانوا يقومون دوما بطقوس تطهير النار من الدنس الذي الحقه بها (اهريمان) وهو من يمثل اله الشر في الديانة الزرادشتية، والذي رمى نفسه فوق النار وامتزج جزء منه بالنار وهو الدخان، لذا يحاول جميع المؤمنين الزرادشتيين كل من جهته في ابقاء هذه النار اللاهبة الزرقاء متقدة لتطهيرها من الدنس الذي لحق بها[48] .

من المهام الاخرى التي تقوم بها طبقة النُساك هو القيام ببعض الطقوس وكانت طقوس النار تلك تتطلب عدداً من الهرابذة يقوم برئاستها (موبذ) والذي يجب ان يخفي فمه برباط لكي لا تلوث انفاسه النار، ليغذي تلك النار بقطع من الخشب طهرت تطهيراً دينياً وهي في الغالب تكون من نبات اسمه (هذانه بتا)، ويأخذ هرابذة المعبد بعد ذلك في نثر الهوما، فالأغصان المقطعة تلك من الهوما تدق في الهون بينما الهرابذة يقومون بترتيل عديد الادعية وبعض من الافستا، وكان من تقسيمات هذه الطبقة عددا من المساعدين ومنهم (الهاونان) الذي يقوم بدق الهوما، والـ (اثروخش) الذي يعنى بالنار ويقوم بترتيل الدعاء دائماً، والـ (فرابراثر) الذي يحمل الاعواد ثم يضعها بنفسه فوق النار، والـ (آبرت) الذي يحمل الماء، والـ (آس نتر) الذي ينقي الهوما، والـ (سروشا ورز) الذي يراقب العمل وله وظائف عليه القيام بها دوما خارج المعبد، أذ يتوجب عليه مراقبة المواظبة على النظام الديني[49] .

يبدو ان قيمة هذه الطبقة تأتّت من كونها تشرف على طقوس عبادية ذات اهمية مضاعفة في المنظور الملكي الساساني، اذ ان لبيوت النار مكانة خاصة ومقدسة لدى الملوك الساسانيين كونها تمثل ادامة وحيوية الزرادشتية الدين الرسمي للدولة، كما انها تضفي نوعا من التمسك بالعقيدة الزرادشتية التي تقوم الدولة على اساسها، لذا جاءت هذه الطبقة بالمرتبة الثانية من حيث الاهمية بعد طبقة الاساورة لما لها من ثقل عقائدي ذات ابعاد اجتماعية وسياسية، فلم يكن ملوك الفرس او قادة الجيوش يسيرون الى حملة او حرب او رحلة الا وتتقدم مواكبهم عدداً من المشاعل المقدسة ومحاريب النار، وهم في حالة ادامة لإبقائها مشتعلة دوماً، لأن انطفاء النار معناه بؤس الدولة واضمحلالها .

ثالثاً: الاطباء والكُتّاب والمنجمون

تأتي هذه الطبقة من حيث الاهمية والمنزلة بالمرتبة الثالثة بعد الطبقات الاولى والثانية كونها تضم ثلاث من الوظائف الاساسية المرتبطة بالملكية الساسانية وهي (الطب، والكتابة، والتنجيم)، أذ يحرص البلاط الساساني على تنظيم عمل كل ما يرتبط بالدولة وفق ضوابط محددة ليقوم كل منها بواجبه ومن موقع عمله ضمن سياق متناغم مع عمل الطبقات الاخرى.

يبدو ان الامبراطورية الساسانية اولت اهتماما كبيراً للطب وعدت هذه المهنة من ضمن الطبقات الاجتماعية الاربع، أذ اسس سابور بن اردشير مدرسة (جنديسابور)[50] وهي مدرسة قديمة للطب والفلسفة تقع في بلاد فارس، وكان في خدمتها عدداً من الاطباء يونانيون نقلوا الطب الى الشرق[51] .

كان لهذه الطبقة حضوراً مهماً في الذهنية الملكية الساسانية فحياة الملك وولي عهده وابنائه كانت تمثل اولوية قصوى لدى الملوك الساسانيين، اذ كان لكل ملك ساساني مجموعة اطباء يكون على رأسهم (رئيس اطباء) من ذوي الخبرة والمعرفة الطبية، فقد كان جبرائييل السنجاري دروستباد (رئيس اطباء) كسرى انوشروان، وطيمثاوس النصيبي (رئيس اطباء) هرمزد الرابع ابن كسرى[52]، لذا احتلت هذه المهنة اهميتها الحيوية في البلاط الملكي الساساني الى جانب الكُتاب والمنجمين .

اما بالحديث عن الكُتّاب يلحظ ان منصب (الكاتب) ضمن احد المناصب الرئيسة والمهمة المكونة لهيكل الادارة الساسانية، وبلغت اهمية الكتاب في البلاط الساساني أن وردت بعض النعوت المختلفة المنقولة عن السنة الملوك الساسانيين في حقهم منها " نظام الامور" أو هم " الالسنة الناطقة عن الملوك " و " خزان اموالهم وامناؤهم على رعيتهم وبلادهم "[53].

كانت طبقة الكتاب بالفارسية تسمى (دبيران)، وكان رئيس طبقة الكتاب في الدولة يسمى (ايران دبيربد) او (ديبهران مهيست) وكان في بعض الاحيان يعين من قبل حاشية الملك ويعهد اليه الملك بمهام دبلوماسية مختلفة ومتنوعة[54]، ويبدو ان الميل للبلاغة الشكلية في الآداب البهلوية او في احاديث العرش والملك والبلاط في الامبراطورية الساسانية ينبغي ان تصاغ صوغا انيقا مرتبا فتختلط بها نبذ من اقوال الحكماء والعظماء كما يجب ان يراعى فيها الطريقة التي يصاغ بها الكتاب، ويراعى ايضا بعض الفوارق الفردية بين رتبتي المرسل والمرسل اليه مراعاة دقيقة[55]، لذا كان اختيار الكاتب في الامبراطورية الساسانية يتم وفق ضوابط دقيقة وهو ما اشار اليه الجهشياري " وكان الرسم جارياً في ايام الفرس ان يجتمع احداث الكُتّاب ومن نشأ منهم بباب الملك متعرضين للأعمال، فيأمر الملك رؤساء كتابه بامتحانهم والتفتيش في عقولهم، فمن رضي منهم عرض عليه اسمه، وامر بملازمة الباب ليستعان به، ثم أمر الملك بضمهم الى العمال وتصريفهم في الاعمال "[56]، ولعل ابرز ما يستشف من هذا النص هو الرقابة الملكية الصارمة في اختيار الكُتّاب، كونهم الماكنة الادارية الرابطة بين مركز الدولة واقاليمها، فمنصب الكاتب اخذ اهمية مضاعفة منذ عهد الملك المؤسس اردشير الاول كونه يؤدي مهام عديدة في الهيكل الاداري للإمبراطورية الساسانية .

يستوعب الجهشياري مرة اخرى مظهراً مهماً من مظاهر اهمية الكُتّاب عند الملوك الساسانيين، اذ يعرض ويبين ما كان يقوم به ملوك فارس في ارسال الكتاب مع الجيوش في الحروب يقول " كانت ملوك فارس اذا انفذوا جيشاً انفذوا معه وجها من وجوه كتابهم، وامروا صاحب الجيش ان لا يحل ويرتحل الا برأيه، يبتغون بذلك فضل رأي الكاتب وحزمه "[57]، أذ يشير ذلك الى ان الكُتّاب يمثلون الطبقة الاكثر وعياً وثقافة في المجتمع الساساني فضلاً عن دورهم في كل مفاصل الادارة في الدولة بما فيها الجيش والحروب .

يلحظ ان اهمية الكُتّاب لدى البلاط الملكي الساساني تأتي من كونهم الماكنة الرئيسة الادارية الرابطة بين مركز الدولة واقاليمها المختلفة، أذ يظهر ذلك من خلال تشعب مهامهم ووظائفهم المختلفة، أذ لا توجد واحدة من التشكيلات الادارية القضائية او العسكرية او الخراجية او المالية الا وكان فيها موقع لمنصب الكاتب، فقد كونوا اشبه ما يعرف بالمراكز او النقاط المنتشرة في جميع ارجاء الدولة ومرافقها[58] .

رابعاً: الزراع والمهان واضرابهم

للزراعة اهمية قصوى في المنظور الملكي الساساني، أذ تعد من اهم الحرف في الامبراطورية كونها تمثل عوائد مالية كبيرة، وهذا واضح من خلال كلام الملوك الساسانيين عن الخراج المرتبط بإنتاجية الارض، والذي عبر عنه اردشير " الخراج عمود الملك "[59]، كما يذكر انوشروان اهمية الخراج للدولة عند توقيعه لصاحب خراجه فيقول " ما استغزر الخراج بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الجور "[60]، ومن كتاب ابرويز الى ابنه شيرويه يقول " وفر في الخراج واجتهد في العمارة "[61]، فالتدبير المالي الصادر تعميمه عن المؤسسة الملكية الساسانية تخوض اغراضه في ترتيب شأن الخراج والجزية وزراعة الارض والجباية المالية وهذه كلها من اركان الاقتصاد في الدولة الساسانية[62] .

يبدو ان اهمية طبقة الزراع والمهان لدى البلاط الساساني تندرج من كونها الاداة الرئيسة للتدبير المالي، بل هي محاولة للربط بين (السلطان والمال) فبحسب التعبير الملكي الدقيق انه " لا سلطان الا بالرجال، ولا رجال الا بالمال "[63]، وعلى وفق هذا المبدأ الذي يمثل وجهة النظر الملكية فأن طبقة الزراع والمهان تمثل احد اعمدتها الضرورية وواحداً من عناصر قوتها وتماسكها، خصوصاً اذا ما علمنا ان نفقات الدولة وخرجها ينصب غالبا في الحرب ومصاريف البلاط ورواتب الموظفين وتسيير الاعمال العامة في الدولة فأن الاعتماد كان في جزءاً كبيراً منه على طبقة المزارعين في الدولة[64] .

من جانب آخر تتأتى أهمية طبقة الزراع من كون الدولة الساسانية كانت تعتمد في تمويل الجيش على الضرائب المختلفة والزراعة بشكل اساسي في فترة الصراع الذي كان قائما بينها وبين الدولة البيزنطية من العداء والحروب شبه المستمرة، لذا مثلت طبقة المزارعين الممول الرئيس والمهم لنفقات الجيش خصوصا في الاقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق (بلاد بابل)[65] .

اما اصحاب المهن والصناعات فشكلوا جزءا مهما ايضا من هذه الطبقة فعلى الرغم من الطابع المالي العام للامبراطورية يتجه نحو الزراعة والضرائب المفروضة على الاراضي الزراعية الشاسعة الا ان الصناعة كانت ذات موردا جيدا للامبراطورية الساسانية، علاوة على اعتماد البلاط الساساني على اصحاب المهن والصناعات في رفد البلاط بكل احتياجاته من المنسوجات المزكرشة بالذهب والاقمشة والملابس الحريرية المختلفة التي كانت تصنع للملوك والقادة والاسرة الحاكمة، كما تمثل تلك الصناعات ايضا جزءاً رئيسياً من صادرات الدولة[66] .

كانت هذه الطبقة تضم كثيراً من سكان البلاد الاخرى من غير الفرس بالإضافة الى الفرس انفسهم، اذ افاد الساسانيون من اسرى الروم في صناعة الحرير[67]، كما اعتاد الساسانيون في انشاء مستعمرات كبيرة من اسرى الحرب من البلاد المختلفة لإدخال فروع جديدة في الصناعة، وعلى هذا النحو قام سابور الاول بوضع اسرى الروم في جنديسابور لغرض الافادة منهم في الاعمال الهندسية المختلفة لإنشاء السد المشهور بـ (سد الامبراطور)[68] .

من جانب آخر وزع سابور الثاني الاسرى الذين استسلموا في بعض المعارك الساسانية بين (سوس) و (شوشتر) وغيرهما من مدن الاهواز، حيث ادخلوا انواعاً جديدة من الصناعات منها صناعة الديباج وغيره من انواع الحرير المختلفة[69]، لذا شكل الكثير من غير الفرس قسماً مهماً من هذه الطبقة في بلاد عرف عنها انتاج الكثير من الصناعات والمهن والحرف المختلفة .

وبعد ان استعرضنا الطبقات الاربع التي تأسست على ضوئها بنية المجتمع الساساني يمكن القول ان النظام الطبقي الذي ساد في ايران فترة حكم الساسانيين كان جزءاً اساسياً ومهماً وحيوياً من هيكل نظام الحكم فيها، لاقتصار مراتب الدولة ومناصبها واعمالها بأصحاب تلك الطبقات، فضلاً عن أثر هذا التقسيم الطبقي في سياسة الدولة منذ القيام حتى السقوط .

يلحظ ايضا ان تلك المراتب مارست ادواراً فعالة ومؤثرة جدا في الهيكلية العامة للدولة الساسانية فقد كانت تلك المراتب على درجة عالية من الانضباط والوعي والانصياع للأوامر العليا الصادرة من البلاط الملكي الساساني، وقد شكل هذا التنظيم هرمية اجتماعية قوية يصعب التدرج في طبقاته، فقد كان من الصعب جدا بل من المستحيل المرور من طبقة اجتماعية الى طبقة اخرى في هكذا تقسيم هرمي يقف الملك فيه على قمة الهرم ثم يأتي اسفل منه اربع طبقات اجتماعية منظمة، لذا بقي هذا التنظيم الطبقي شاخصاً لسنوات طويلة من عمر الامبراطورية الساسانية رغم كم المتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت على الامبراطورية منذ تأسيسها وحتى سقوطها .

الخاتمة

طرحت الدراسة في المقدمة مجموعة من الاسئلة تتعلق بأشكاليات متعددة حول اهمية نظام الطبقات في المنظور الملكي الساساني، ومدى اهمية تلك الطبقات في تنظيم عمل الدولة وتسيير شؤونها، وعلى وفق الاستنتاجات التي عالجنا بها هذه الاشكالية ثبتت الدراسة مجموعة من النتائج وهي كالاتي:

1 – كان نظام الطبقات في الامبراطورية الساسانية على درجة عالية من الالتزام فقد شكل هذا النظام مرتكزا اساسيا وحيويا في الهيكل العام للإدارة الساسانية مما ساهم في توطيد اركانها على اساس متين ظل فاعلا لفترات طويلة من عمر الامبراطورية الساسانية .

2 – يلحظ ان اصحاب تلك الطبقات ازداد دورهم في الدولة فلم يشغلوا المناصب الرفيعة فحسب بل كان لهم دور في تتويج الملوك فطالما ورد مصطلح (العظماء والاشراف) عند بعض المؤرخين العرب عند تناولهم تاريخ الدولة الساسانية، فقد كان هؤلاء يجتمعون مع الملك ويستمعون لحديثه عند مخاطبة الشعب .

3 – مثلت تلك الطبقات في الذهنية الملكية الساسانية عنصرا متأصلا من عناصر قوة الدولة وعظمتها لذا كان الملوك الساسانيين منذ عهد اردشير يحذرون من خراب المملكة اذا ما انهارت تلك الطبقات الاجتماعية او توقفت عن ممارسة دورها فان بقاء المملكة مرهون بأن تحتل كل طبقة موقعها .

4 – يمكن القول ان النظام الطبقي عند الملوك الساسانيين هو نظام مقدس مرتبط ارتباطا وثيقا بشريعة زرادشت ، لذا فهو واجب الخضوع له ولا يحق لاحد تجاوزه او الاعتراض عليه .

5 – شكلت تلك الطبقات وفق المنظور الملكي الساساني اعمدة الدولة الرئيسية لذا حرص الملوك الساسانيين على ديمومتها وبقاءها ويتجلى ذلك بشكل واضح في احاديث الملوك الساسانيين التي زخرت بها كتب الفرس حول اهمية تلك الطبقات وضرورة حفظها وصونها.

الهوامش:

[1] - تاج نامة من الكتب الساسانية المهمة التي تعد من كتب البلاط الساساني ينظر ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت: 385هـ/995م)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (د – ت)، ص 132 .
[2] - الجاحظ، عمر بن بحر (ت: 255هـ/677م)، التاج في اخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي، (د- ت)، ص 23 .
[3] - اردشير بن بابك، عهد اردشير، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1967)، ص 62 .
[4] - الكعبي، نصير، جدلية الدولة والدين في الفكر الشرقي القديم (ايران العصر الساساني انموذجا)، (بيروت: منشورات الجمل، د – ت)، ص 96 .
[5] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 20 .
[6] - عبد اللطيف، كمال، في تشريح اصول الاستبداد، قراءة في نظام الاداب السلطانية، (بيروت: دار الطليعة، 1999)، ص 112
[7] - المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت: 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، (بيروت، المكتبة العصرية، 2005)، ج1، ص 186 .
[8] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 19 .
[9] - كريستينسين، ارثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، (بيروت: دار النهضة العربية، د – ت)، ص 87 .
[10] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 96 .
[11] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 21 .
[12] - عهد اردشير، ص 61 .
[13] - المصدر نفسه، ص 60 .

[14]- تنسر، اقدم نص عن النظم الفارسية قبل الاسلام، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مطبعة مصر، د – ت)، ص 37 .
[15] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 97 .
[16] - تنسر، اقدم نص عن النظم الفارسية، ص 35 .
[17] - المصدر نفسه، ص 40 .
[18] - المصدر نفسه، ص 41 – 42 .
[19] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 101 .
[20] - البيروني، ابو الريحان بن محمد (ت: 440هـ/ 1048م)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة، (قم، انتشارات بيدار، 1418)، ص 75 .
[21] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 21 .
[22] - عبد اللطيف، تشريح اصول الاستبداد، ص 116 .
[23] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 89 .
[24] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 98 – 99 .
[25] - الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد (ت: 450هـ/1058م)، نصيحة الملوك، تحقيق: خضر محمد خضر، (الكويت، مكتبة الفلاح، 1983)، ص 50 .
[26] - شرارة، وضاح، استئناف البدء، محاولات في العلاقة بين الفلسفة والتاريخ، (بيروت: دار الحداثة، 1981)، ص 68 .
[27] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 5 .
[28] - تنسر، اقدم نص عن النظم الادارية الفارسية، ص 12 .
[29] - دهخدا، علي اكبر، لغت نامة دهخدا، (تهران: انتشارات وجاب دانشكاه تهران، 1377)، ج2، ص 257 .
[30] - عميد حسن، فرهنك فارسي عميد، ويراستار: عزيز الله عليزاده، (تهران: راه رشد، 1389)، ج2، ص 129 .
[31] - الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت: 170هـ/692م)، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، ج2، ص 294 .
[32] - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ/1827م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، (الكويت: وزارة الارشاد، 1965)، ج12، ص 104 – 105 .
[33] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 303 .
[34] - اول هذه الاسرات هي الاسرة المالكة اسرة الساسانيين والاسر الاخرى المسماة قارن بهلو وسورين بهلو واسباهبد بهلو وسبند ياد ومهران وربما كان منها اسرة زيك للمزيد ينظر كريستينسن، ايران في عهد الساسانيين، ص 93 .
[35] - ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت: 328هـ/951م)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، ج1، ص 40 .
[36] - الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص 22 .
[37] - الدينوري، ابي حنيفة احمد بن داوود (ت: 282هـ/ 904م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة: وزارة الثقافة، د – ت)، ص 71 .
[38] - اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت: 292هـ/ 914م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، (بيروت: الاعلمي للمطبوعات، 2010)، ج1، ص 222 .
[39] - كريستينسن، ايران في عهد الساسانيين، ص 99 .
[40] - الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/ 932م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د – ت)، ج2، ص 102 .
[41] - بياني، شيرين، دين ودولت در عهد ساساني، (تهران: جامي، 1379)، ص 12 .
[42] - زرين كوب، عبد الحسين، تاريخ سياسي ساسانيان، (تهران: سازمان مطالعة وتدوين كتب علومي واسلامي دانشكاها سمت، 1381)، ص 18 .
[43] - اردشير بن بابك، عهد اردشير، ص 5 .
[44] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 156 وما بعدها .
[45] - المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 224 .
[46] - كريستينسن، ايران في عهد الساسانيين، ص 131 .
[47] - احمد، الشفيع الماحي، زرادشت والديانة الزرادشتية، (جامعة الملك سعود، 2001)، ص 73 – 74 .
[48] - المصدر نفسه، ص 75 .
[49] - كريستينسن، ايران في عهد الساسانيين، ص 152 – 153 .
[50] - جنديسابور، مدينة بخوزستان بناها سابور بن اردشير فنسبت اليه واسكنها سبي الروم وطائفة من جنده للمزيد ينظر الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي (ت: 626هـ/1248م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت: دار الكتب، د – ت)، ج2، ص 198 .
[51] - المعلوف، عيسى اسكندر، تاريخ الطب عند الامم القديمة والحديثه، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2015)، ص 15 .
[52] - ابونا، الاب بير، تاريخ الكنسية الشرقية، (بغداد: التايمز للطباعة والنشر، 1985)، ج1، ص 176 .

[53] - الجهشياري، ابي عبد الله محمد بن عبدوس (ت: 331هـ/948م)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، د – ت)، ص 9 .
[54] - كريستينسين، ايران في عهد الساسانيين، ص 123 .
[55] - المصدر نفسه، ص 122 .
[56] - الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 3 .
[57] - الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 4 .
[58] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 136 .
[59] - الثعالبي، ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: 429هـ/1053م)، غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم، (د – ت)، ص 484 .
[60] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 306 .
[61] - ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ/698م)، عيون الاخبار، تحقيق: منذر محمد سعيد، (بيروت: المكتب الاسلامي، 2008)، ج1، ص 36 .
[62] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص 109 .
[63] - الثعالبي، غرر اخبار ملوك الفرس، ص 482 .
[64] - كريستينسين، ايران في عهد الساسانيين، ص 114 .
[65] - المصدر نفسه، ص 112 .
[66] - ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (القاهرة: الادارة الثقافية، 2002)، ج3، ص 411 .
[67] - المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 186 .
[68] - كريستينسين، ايران في عهد الساسانيين، ص 115 .
[69] - المسعودي مروج الذهب، ج2، ص 186 .

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر

1. اردشير بن بابك، عهد اردشير، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1967) .
2. البيروني، ابو الريحان بن محمد (ت: 440هـ/ 1048م)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة، (قم، انتشارات بيدار، 1418) .
3. تنسر، اقدم نص عن النظم الفارسية قبل الاسلام، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مطبعة مصر، د – ت) .
4. الثعالبي، ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: 429هـ/1053م)، غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم، (د – ت) .
5. الجاحظ، عمر بن بحر (ت: 255هـ/677م)، التاج في اخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي، (د- ت) .
6. الجهشياري، ابي عبد الله محمد بن عبدوس (ت: 331هـ/948م)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، د – ت) .
7. الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي (ت: 626هـ/1248م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت: دار الكتب، د – ت) .
8. الدينوري، ابي حنيفة احمد بن داوود (ت: 282هـ/ 904م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة: وزارة الثقافة، د – ت) .
9. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ/1827م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، (الكويت: وزارة الارشاد، 1965) .
10. الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/ 932م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د – ت) .
11. ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت: 328هـ/951م)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983) .
12. الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت: 170هـ/692م)، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002) .

13. ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ/698م)، عيون الاخبار، تحقيق: منذر محمد سعيد، (بيروت: المكتب الاسلامي، 2008) .
14. الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد (ت: 450هـ/1058م)، نصيحة الملوك، تحقيق: خضر محمد خضر، (الكويت، مكتبة الفلاح، 1983) .
15. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت: 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، (بيروت، المكتبة العصرية، 2005) .
16. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت: 385هـ/995م)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (د – ت) .
17. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت: 292هـ/ 914م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، (بيروت: الاعلمي للمطبوعات، 2010) .

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

1. ابونا، الاب بير، تاريخ الكنسية الشرقية، (بغداد: التايمز للطباعة والنشر، 1985) .
2. احمد، الشفيع الماحي، زرادشت والديانة الزرادشتية، (جامعة الملك سعود، 2001) .
3. المعلوف، عيسى اسكندر، تاريخ الطب عند الامم القديمة والحديثه، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2015) .
4. ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (القاهرة: الادارة الثقافية، 2002) .
5. شرارة، وضاح، استئناف البدء، محاولات في العلاقة بين الفلسفة والتاريخ، (بيروت: دار الحداثة، 1981) .
6. عبد اللطيف، كمال، في تشريح اصول الاستبداد، قراءة في نظام الاداب السلطانية، (بيروت: دار الطليعة، 1999) .
7. كريستينسين، ارثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، (بيروت: دار النهضة العربية، د – ت) .
8. الكعبي، نصير، جدلية الدولة والدين في الفكر الشرقي القديم (ايران العصر الساساني انموذجا)، (بيروت: منشورات الجمل، د – ت) .

ثالثاً: المصادر الفارسية

1. بياني، شيرين، دين ودولت در عهد ساساني، (تهران: جامي، 1379) .
2. دهخدا، علي اكبر، لغت نامة دهخدا، (تهران: انتشارات وجاب دانشكاه تهران، 1377) .

3 - - زرين كوب، عبد الحسين، تاريخ سياسي ساسانيان، (تهران: سازمان مطالعة وتدوين كتب علومي واسلامي دانشكاها سمت، 1381) .

4 - عميد حسن، فرهنك فارسي عميد، ويراستار: عزيز الله عليزاده، (تهران: راه رشد، 1389) .